OPEN ACCESS
Journal of Arabic Research (AIOU)
jar.aiou.edu.pk
iri.aiou.edu.pk

حكمة التكرار و فوائده فى القرآن الكريم عند الزركشى (دراسة بلاغية)

The wisdom of repetition and its benefits in the study

۞ حافظة فروة افتخار

المحاضرة جامعة كلية لاهور للنساء، لاهور

۞۞ د.شبانه نذر

أستاذة مساعدة، قسم اللغة العربية،الجامعة الإسلامية،بهاولبور

ABSTARCT

Repetition is one of the prominent phenomena in the style of the Noble Qur'an. Rather, it is considered one of the (the most important features of the Qur'anic style that made it more eloquent in miracles and tougher on Arabs in defiance, due to the repetition contained in its verses, so the methods of performance differ, and the meaning is one in different phrases) And repetition, even if it was a doctrine known to the Arab before the revelation of the Qur'an, as we will see in the next pages of this research, but its presence in the Noble Qur'an, which has made the Arabs innately unable to oppose it, because (the one meaning appears in its style in two images or images, each of which is different from the other and It is a statement that they are incapable of a single image and they continue to be impotent, and this is more challenging for them.

Keywords:

بلاغة النظم فى أسلوب التكرار فى القرآن الكريم

يعد التكرار أحد الظواهر البارزة فى أسلوب القرآن الكريم بل هو يعد من (أهم سمات الأسلوب القرآنى التى جعلته أبلغ فى الاعجاز و أشد على العرب فى التحدى، وذلک لما تضمنته آياته من التكرار فتختلف طرق الأداء و المعنى واحد فى العبارات المختلفة)-1

والتكرار و ان كان مذهباً معروفاً عند العربى قبل نزول القرآن كما سنرى فى الصفحات القادمة من هذا البحث غير أن وروده فى القرآن الكريم مما حقق للعرب عجز هم بالفطرة عن معارضته ذلک لأن (المعنى الواحد يرد فى أسلوبه بصورتين أو صور كل منهما غير الأخرى وجها و عبارة وهم على ذلک عاجزون عن الصورة الواحدة ومستمرون على العجز، و هذا أشد عليهم فى التحدى)-2

إن التكرار فى القرآن الكريم على اختلاف فنونه اقتضته البلاغة الرفيعة ووقع موقعه من الصناعة العربية الضخمة و أساليبها العالية ذلک لأن له تأثيرا فى عقول المستنيرين (كون المكرر ينطبع فى تجاويف الملكات ألا شعورية التى تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان، فاذا انقضى شطر من الزمن نسى الواحد منا

صاحب التكرار، وانتهى بتصديق المكرر)3 وقد أنكر بعض العلماء كون التكرار من أساليب الفصاحة وظنوا أنه لا فائدة تحته الأمر الذى جعل بعض من الملاحدة يتخذون من كلامهم منفذا للطعن فى القرآن الكريم بأنه ليس وحياً من عند الله فأكثروا اللغو حول هذه الشبهة و نسى هؤلاء الملاحدة و أشباههم أن التكرار يعد أحد الفنون القولية المعروفة عند العرب قبل نزول القرآن الكريم بل هو من محاسن الفصاحة لديهم،4 فقد أدرك العرب الخلص قبل نزول القرآن الكريم أهمية التكرار و فائدته فى تثبيت المعنى فى نفوس السامعين فاستعملوه فى خطبهم و أشعارهم قاصدين بذلك التوكيد والافهام والاختصار ارادة التحقيق والايجاز و ايمانا منهم بأن (افتنان المتكلم و الخطيب فى الفنون و خروجه من شئى الى شئى أحسن من اقتصاره فى المقام على فن واحد)،5 فكثيرا ما كانوا يستعملونه فى مراثيهم وذلك ليبينوا أهمية الفقيد و مدى تأثر هم لأجل رحيله من بينهم، وشدة حزنهم عليه والشاهد على ذلك من الشعر الجاهلى كثير نذكر مثلا قول الخنساء ترثى أخاها صخر:

وان صخرا لو الينا وسيدنا وان صخرا اذا نشتوا لنحار

وان صخرا لمقدام اذا ركبوا وان صخرا اذا جاعوا لعقار

وان صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار6

يظهر من النص السابق أهمية التكرار فى ابراز المعنى الذى تريد الخنساء ايصاله الى المتلقى ذلك المعنى هو تأكيد حضور صخر فى ذهنها فاستعملت أسلوب التكرار لجعل المتلقى يشعر أن صخرا موجود فى (كل همسة وكل لمسة وفى كل صرخة و فى كل دمعة من دمعاتها)،7 ولو لا التكرار لما أدرك المتلقى ذلك ولما عرف منزلة صخر من نفس الخنساء ولو لاه أيضا لما استطاعت الخنساء أيضا أن تؤثر وتبلغ هذا الأثر فى نفس المتلقى-

ومثله قول المهلهل بن أبى ربيعة يرثى أخاه كليب:

دعوتک يا كليب فلم تجبنى وكيف يجيبنى البلد القفار

اجبنى يا كليب خلاک ذم ضنينات النفوس لها مزار

اجبنى يا كليب خلاک ذم لقد فجعت بفارسها نزار 8

لقد استطاع الشاعر أن ينقل بواسطة التكرار كل أحاسيسه ومشاعره الجياشة تجاه أخيه الفقيد كما استطاع بواسطة التكرار أن يشرک المتلقى معه فى هذا الاحساس فمن يسمع أو يقرأ الأبيات السابقة يشعر أنه يشارک الشاعر فى حزنه على أخيه-

التكرار فى القرآن الكريم

يعد القرآن الكريم كتاب الله الخالد و معجزة نبيه الباقية من هنا نزل بلسان العرب ليكون أكثر هجة عليهم و عجز هم أشد أمام تحديه لهم بأن يأتوا بسورة من مثله اذ أن التحدى كما أشرنا فى بداية هذا البحث لا يكون له قيمة أو وجه الااذا كان التحدى مما يألفه القوم ويجيدونه لهذا نجد القرآن الكريم قد استعمل الألفاظ والأساليب التى كان العرب يستعملونها و كلمهم على قدر كلامهم (فكان عجزهم عنه شهادة له بالاعجاز)9

وقد استعمل القرآن الكريم أسلوب التكرار لكنه استعمله بطريقة جعلت العرب رغم استعمالهم له و معرفتهم به و عل الرغم من بلاغتهم و قوة بيانهم و تمكنهم من اللغة و أساليبها يقفون عاجزين أمام روعته وسر بيانه خاضعين و مقرين ببلاغته وسر اعجازه و ما ذلک الا لأن التكرار الواقع فى القرآن الكريم يباين التكرار الكائن فى كلامهم اذ أن كلام البشر لا يسلم عادة من القلق و الاضطراب ويفيد عينا فى الأسلوب يعاب عليه الكاتب-

أما أسلوب التكرار فى القرآن الكريم فنجد أنه يقع على وجوه عدة: فهذالک التكرار فى الكلمة، وهناک التكرار فى اللفظ، وهناک التكرار فى الآية، وهناک التكرار فى الأوامر والنواهى، وهناک التكرار فى القصة الواحدة، وكل هذه الوجه قد وقعت لتدل على مظهر من مظاهر الاعجاز البلاغى فى القرآن الكريم وهذا ما حوال الزركشى تأكيده فى كتابه البرهان فى علوم القرآن كما سنرى فى الصفحات الآتية-

التكرار عند الزركشى

لقد بدأ الزركشى معالجته لموجوع التكرار فى القرآن الكريم ببيان أصله اللغوى واختلاف العلماء حول ذلک و أنهم انقسموا الى قسمين قسم يرى أنه مصدر للفعل كرر اذا ردد و أعاد وهو على وزن تفعال بفتح التاء وليس بقياس 10، لأن المصدر القياسى للفعل كررهو التكرير على وزن التفعيل و أشهر القائلين بهذا الرأى هو العالم الجليل سيبويه11، والقسم الآخر يرون أنه مصدر للفعل (فعل) بتشديد العين والألف عوضا من الباء فى التفعيل و القائلين بهذا هم الكوفيون 12، والملاحظ على الزركشى أنه ترک المسألة مفتوحة ولم يرجع أحد الرا أيين على الآخر ولعل السبب فى ذلک من وجة نظر البحث أن المسالة لا تحتاج الى خلاف فكلا الر أيين صحيحان، و على الرغم من اختلاف الفريقين فى أصل التكرار الا أنهما متفقان أه على وزن تفعال ارادة مهما التكثير و المبالغة، ومما يؤيد ذلک أن الزركشى على الرغم من أن بعض العلماء أيضا حاولوا أن يفرقوا بين التكرار والتكرار الا أنه لم يفرق بينهما فمرة يستعمل

التكرار و أخرى يستعمل التكرير و هذا ايضا ما سوف أسير عليه فى هذا البحث لأن اللفظين قد وردا فى معاجم اللغة وليس هناک فرق بين معنيهما يقول ابن منظور: (كرر الشئى اعاده مرة بعد أخرى)13، وقال التهاونى: التكرير هو اعادة الشئى مرة بعد أخرى وكذا التكرار14- أما الزركشى فيعرف التكرار بقوله: (هو اعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى خشية تناسى الأول لطول العهدبه، فان أعيد لا لتقرير المعنى السابق لم يكن منه)-15

وو اضح من تعريف الزركشى السابق أنه يشترط الفائدة من وجود التكرار فاذا لم توجد الفائدة كان التكرار معيبا كما اشترط أيضا أن ياتى التكرير لتقرير المعنى السابق فاذا لم يكن كذلک فليس تكرار و مثل ذلک قوله تعالى:

(قُلْ اِنِّیْٓ اُمِرْتُ اَنْ اَعْبُدَ اللّٰهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّیْنَ (11) ۞وَاُمِرْتُ لِاَنْ اَكُوْنَ اَوَّلَ الْمُسْلِمِیْنَ (12) ۞قُلْ اِنِّیْٓ اَخَافُ اِنْ عَصَیْتُ رَبِّیْ عَذَابَ یَوْمٍ عَظِیْمٍ (13) ۞قُلِ اللّٰهَ اَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهٗ دِیْنِیْ (14) فَاعْبُدُوْا مَا شِئْتُمْ مِّنْ دُوْنِهٖ ؕ قُلْ اِنَّ الْخٰسِرِیْنَ الَّذِیْنَ خَسِرُوْٓا اَنْفُسَهُمْ وَاَهْلِیْهِمْ یَوْمَ الْقِیٰمَةِ ؕ اَلَا ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِیْنُ)16 فأعاد قوله: (قل الله أعبد مخلصاً له دينى) بعد قوله: (قل انى امرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين) لا لتقرير الأول، بل الغرض آخر، لأن معنى الأول: الأمر بالاخبار أنه مأمور بالعبادة لله و الاخلاص له فيه، ومعنى الثانى أنه يخص الله وحدة دون غيره بالعبادة والاخلاص؛ لأن الكلام أولاً فى الفعل و ثانياً فيمن فعل الجُلة الفعل-17

كما يتضح من تعريف الزركشى أيضا للتكرار أنه يجوز وقوع التكرار باللفظ نفسه أو مرادفه و هو يهذا يخالف الفراء (ت ٢٨٦هـ) و ابن جنى (ت ٣٩٢هـ) اللذان ذهبا الى أن التكرار لا يجوز الا اذا اختلفا اللفظان أما ماعدا ذلک فلا يجوز و استشهد الفراء على صحة رأية بقول الشاعر:

من النفر اللأى الذين اذاهم تهاب اللئام حلقه الباب قعقعوا

فيقول: ألا ترى أنه قال الائى الذٰن و معنا هما الذين، استجيز جمعهما لاختلاف لفظهما ولو االتفقالم يجز ذلک فلا يجوز ما قام زيد ولا مررت بالذين الذين يطوفون، ومن هنا فانه يجوز التكرار فى اللفظ والمعنى اذا كان بينهما فاصل أو كان مسوغا الغرض بلاغى فيقول: و أما قول الشاعر:

كم نعمة لها كم كم وكم

انما هو تكرار حرف ولو وقفت على الأول اجزأک من الثانى و هو كذلک أيضا للرجل نعم نعم تكرر ها أو قولک أعجل أعجل تشديداً للمعنى-18

وقد تبعه فى هذا القول ابن رشيق القير وانى فى كتابه العمدة الذى اعتبر التكرار فى اللفظ و المعنى جميعا هو الخذلان بعينه19، وو افقهما على ذلک أيضا ابن جنى اذ يرى أن التكرار لا يكون حسنا الا اذا كان اللفظ الثانى مخالفا للأول أما التكرار بلفظ الأول فلايقبله جملة ولا يستحسنه فى كل موضع بل يجيزه و يفضله اذا كان الموضع للتفخيم والتعظيم والتهويل20، مثل قوله تعالى(الحاقة، ما الحاقه)21، وقوله تعالى: (القارعة، ما القارعة)22، ولعل هذه الآراء هى التى جعلت الزركشى يقول: (وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة ظنا أنه لا فائدة له وليس كذلک بل هو من محاسنها لا سيما اذا تعلق بعضه ببعض و ذلک أن عادة العربى فى خطاباتها اذا أبهمت بشئى ارادة لتحقيقه و قرب و قوعه أو قصدت الدعاء عليه كررته توكيدا و كأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه أ و الاجتهاد فى الدعاء حيث تقصد الدعاء)23

ويتو صل الزركشى الى تعليل استعمال القرآن الكريم لأسلوب التكرار الى أن القرآن الكريم قد نزل بلسان العرب وكانت وكانت مخاطباته جارية فيما بين بعضهم فقد استعمل القرآن الكريم التكرار ليكون حجة عليهم وزيادة فى بيان عجزهم عن المعارضة يقول الزركشى: (و انما نل القرآن بلسانهم وكانت مخاطباته جارية فيما بين بعضهم و بعض و بهذا المسلک تستحكم الحجة عليهم فى عجزهم عن المعارضة)24-

ان الزركشى هنا يحاول أن يثبت اعجاز القرآن الكريم من خلال استعماله لأسلوب التكرار الذى كانت العرب قبل نزول القرآن تستعمله فجاء القرآن مستعملا لأ ساليبهم الأمر الذى جعله أكثر حجة عليهم-

1. ان التكرار فى القرآن الريكم حقيقة موجودة يجب علينا أن نؤمن بها و نقرها وقد استعمله القرآن الكريم ليؤدى من خلاله وظيفتين رئيسيتين الأولى دينية باعتبار أن القرآن كتاب هداية و ارشاد و تشريع لا يخلو منها فن من فنونه، و أهم ما يؤديه التكرار من الناحية الدينية هو تقرير المكرر و توكيدة و اظهار العناية به ليكون فى السلوک أمثل وللا عتقاد أبين فالتكرار يعد وسيلة من وسائل الاقناع التى تهدف الى تثبيت العقيدة فى النفوس و قمع شهوات الانسان و هنا نجد الزركشى يقول مؤكدا ذلک و معللا ما ورد فى القرآن من تكرار: (وعلى ذلک يحتمل ما ورد من تكرار المواعظ والوعد والوعيد، لأن الانسان مجبول من الطبائع المختلفة وكلها داعية الى

الشهوات، ولا يقمع لک الا تكرار المواعظ والقوارع، قال تعالى: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)25، أى: سهلنها للادكار والاتعاظ بأن نسجناه بالمواعظ الشافية و صرفنا فيه منا لوعد والوعيد26، فالوظيفة الأولى للتكرار عند الزركشى هى تثبيت العقيدة فى النفوس و ارساء الفضائل فى أعماق النفس و توجيه الانسان الى ما فيه خيره وسعادته ذلک لأن التكرار (يعاود النفوس الغافلة المرة بعد المرة يزيل عنها غفلتها كما يعاود النفوس الآمنة المطمئنة بما يثبت فيها دعائم اليقين)27، وقد عبر القرآن الكريم نفسه عن ذلک مادحا آياته بقوله تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)28

وقد أكد الرافعى هذا المعنى فى العصر الحديث قائلا: (وها معنى دقيق فى التحدى ما نظن العرب الا قد بلغوا فيه عجبا وهو التكرار الذى يجى فى بعض آيات القرآن فتختلف فى طريق الأداء و أصل المعنى واحد فى العبارات المختلفة فالذى يكون فى بعض قصصه لتوكيد الزجر و الوعيد وبسط الموعظة وتثبيت الحجة و نحوها، أو فى بعض عباراته لتحقيق النعمة و ترديد المنه وتذكير المنعم و اقتضاء شكره الى ما يكون من هذا الباب وهو مذهب للعرب معروف ولكنهم لا يذهبون اليه الا فى ضروب من خطابهم للتهويل و التوكيد و التخويف و التفيجع وما يجرى مجراها من الأمور العظيمة)29

والو ظيفة الثانية للتكرار هى الوظيفة الأدبية حيث يكون دور التكرار فيها متعدد و ان كان الهدف منه فى جسيع مواضعه يؤدى الى تأكيد المعانى و ايراز ها فى معرض الوضوح و البيان-

حكمة التكرار و فوائده فى القرآن الكريم عند الزركشى

ذكر الزركشى رأيه فى الحكمة من وجود التكرار فى القرآن الكريم وكان أحيانا يذكر عدة نقاط متتالية و يذكر بعضها أحيانا أخرى و قد يتداخل كلامة فى بعض المواضع و سنحاول فى هذه الصفحات أن نعرض رأيه فى الحكمة من وجود التكرار فى القرآن الكريم و قد رأيت أن اتبع كل نقطة منها بالتوضيح والتعليق-

الفائدة الأولى: التأكيد والتقرير

يرى الزركشى أن الفائدة العظمى من التكرار هى التوكيد و التقرير و ذلک الأن (الكلام اذا تكرر تقرر)30، وقد أشار الى هذه الحكمة الكثير من العلماء فهى تكاد أن تكون موضع اجماع لديهم وذلک لأن القرآن كتاب ذكر ودعوة وهذه الأمور تحتاج الى التكرار لتؤكد و تقرر فى النفوس الغافلة و فى كتب التفاسير نجد عبارات مشابهه ففى تفسير قوله تعالىٰ (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئاً ولهم عذاب اليم)31، قال القرطبى: كرر للتأكيد32-

وفى تفسير قوله تعالىٰ: (أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُوْنَ)

33، وكرر الرحمة لما اختلف اللفظ تأكيدا و اشبا عا للمعنى34-

الثانى: زياده التنبيه على ما يننفى التهمة ليكمل تلقى الكلام بالقبول

ومنه قوله تعالى:(وَقَالَ الَّذِىَ اٰمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوْنِ اَهْدِكُمْ سَبِيْلَ الرَّشَادِ (38) يَا قَوْمِ اِنَّمَا هٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَّاِنَّ الْاٰخِرَةَ هِىَ دَارُ الْقَرَارِ)35، فانه كرر فيه النداء لذلک36

الثالث: اذا طال الكلام و خشى تناسى الأول أعيد ثانيا تطرية له و تجديد العهده

كقوله تعالى: (ثُمَّ اِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِيْنَ هَاجَرُوْا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوْا ثُمَّ جَاهَدُوْا وَصَبَرُوْٓا اِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ)37، فقد كرر (ان ربک) بنا۴ على الأول ادكاراً به خشية تناسيه و أيضا تأكيدا و دفعا لتوهم أن التوبة والمغفرة تقع من غير الله و أنه وحدة يغفر الذنوب جميعا38-

لقد حاول الزركشي أن يكشف عن المعنى النفسي لأسلوب التكرار في القرآن الكريم متأثرا في ذلك بأسلوب الزمخشري في الكشاف و ان كان لم يبسط القول فيه كما فعل الزمخشري فمثلا في المثال السابق اكتفى الزركشي بذكر فائدة تكرار لفظ(ان ربك) و أغفل ذكر فائدة تكرار(ثم)-حيث أفادت الربط بين مرحلتين زمنيتين مرحلة الضلال و مرحلة التوبة، فلما طالت المدة بينهما جئي بثم للربط بينهما، و اذا ما حاول انسان أن يقرأ الآية بدونها فسيجد أن المعنى يكون ضعيفا ركيكا بعكس لو قرأها بوجود ثم، ومن هنا نستنتج أن التكرار في الآية السابقة حمل أكثر من فائدة بلاغية و معنوية-

ومما ذكره الزركشي تحت هذا النوع من التكرير هو التكرير الذي قد يراد منه شئ يكون بناؤه بطريق الاجمال و التفصيل و ذلك بأن تتقدم التفاصيل والجزئيات في القرآن فاذا خشي عليها التناسي لطول العهد بها بني على ما سبق بها بالذكر الجملي و ذلك كقوله تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِّيْثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِاٰيَاتِ اللّٰهِ وَقَتْلِهِمُ الْاَنْبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَّقَوْلِهِمْ قُلُوْبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللّٰهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوْنَ اِلَّا قَلِيْلًا) الى قوله تعالى: (وَاَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِيْنَ مِنْهُمْ عَذَابًا اَلِيْمًا)39، فقوله (فبظلم) بيان الذكر الجملي على ما سبق في القول من التفصيل، (يقصد الزركشي نقض الميثاق و الكفر بآيات الله، و قتل الأنبياء، والقول على مريم بالبهتان والى ما تخلل ذلك من أسلوب الاعتراض بها في موضعين هما قوله تعالى: (وَّقَوْلِهِمْ قُلُوْبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللّٰهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوْنَ اِلَّا قَلِيْلًا)40وقوله تعالى: (وَمَا صَلَبُوْهُ وَلٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ)41، وانه لما ذكر بالبناء جملي الظلم من قوله (فبظلم) لأنه يعم على كل ما تقدم و ينطوي عليه، ذكر حينئذ متعلق الجملي من قوله: (فبما نقضهم ميثاقهم)42، عقب الباء، لأن العامل في الأصل حقه أن يلي معموله فقال:

(فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِيْنَ هَادُوْا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ اُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ كَثِيْرًا)43، هو متعلق بقوله:

(فبظلم)، وقد اشتمل الظلم على كل ما تقدم قبله كما أنه اشتمل أيضا على كل ما تأخر من المحرمات الأخر عددت بعد ما اشتملت على ذكر الشئ بالعموم و الخصوص فذكرت الجزئيات الأولى بخصوص

كل واحد ثم ذكر العام المنطوى عليها فهذا تعميم بعد تخصيص، ثم ذكرت جزئيات أخر بخصوصها، فتركيب الأساليب من وجوه كثيرة فى الآية و هو التعميم بعد التخصيص، ث التخصيص بعد التعميم، ثم البناء بعد الاعتراض)44-

ومنه قوله تعالى: (اَيَعِدُكُمْ اَنَّكُمْ اِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَّعِظَامًا اَنَّكُمْ مُّخْرَجُوْنَ)45، اذ يرى الزركشى أن قوله تعالى:

(أنكم) الثانى بناء على الأول، اذكارا به خشية تناسيه،46، والزركشى هنا يخالف ابن الأثير الذى اعتبر التكرير فيما سبق خارجا عن حكم التكرير وذلک(أنه اذا طال الفصل من الكلام وكان أوله يفتقر الى تمام لايفهم الا به فالأولى فى باب الفصاحة أن يعاد لفظ الأول مرة ثانية ليكون مقارنا لتمام الفصل، كى لا يجئى الكلام منثورا لاسيما فى (ان و أخواتها) فاذا وردة (ان) وكان بين اسمها و خبرها فسحة طويلة من الكلام فاعادة (ان) أحسن فى حكم البلاغة و الفصاحة كالذى تقدم فى هذه الآيات، واستدل على ذلک يقول أحد شعراء الحماسة:

اسجنا وقيدا و اشتياقا وغربه ونأى حبيب ان ذا لعظيم

و ان امرأ دامت مواثيق عهده على مثل هذا انه لكريم

فانه لما طال الكلام بين اسم ان و خبرها أعيد مرة ثانية لأن تقدير الكلام و ان امرأ دامت مواثيق عهده لعل مثل هذا أنه لكريم، لكن بين الاسم والخبر مدى طويل فاذا لم تعاد (ان) مرة ثانية لم يأت على الكلام بهجة ولا رونق و هذا لا يتنبه لاستعماله الا الفصحاء47-

ومن وجهة نظر البحث والله أعلم أن ما ذهب اليه الزركشى هو الصواب، وأن اعتراض ابنن الأثير ال أساس له من الصحة لأنه كما يقول الدكتور صلاح الدين محمد عبدالتواب (قد اضطر الى أن يستعمل الصطلاحا آخر لميخرج عن مفهوم التكرار و كأن المسألة مجرد اختلاف شكلى فى التسمية لا غير)48-

الرابع: في مقام التهويل والتعظيم

قوله تعالى: (الْحَآقَّةُ، مَا الْحَآقَّةُ)49، وقوله تعالى: (اَلْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ (2)وَمَآ اَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ)50،وقوله تعالى:(اِنَّآ اَنْزَلْنَاهُ فِيْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَآ اَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ)51، وقوله تعالى: (وَاَصْحَابُ الْيَمِيْنِ مَآ اَصْحَابُ الْيَمِيْنِ)52 ، وقوله تعالى: (فَاَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَآ اَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (8)وَاَصْحَابُ الْمَشْاَمَةِ مَآ اَصْحَابُ الْمَشْاَمَةِ)53

الخامس: في مقام الوعيد و التهديد

قوله تعالى: (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُوْنَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُوْنَ)54حيث أورد الزركشي أن الانذار الثاني أبلغ من الأول فكررت ثإ للدلالة على ذلك كما ا٧ن فيه تنبيه على تكرر ذلك مرة بعد أخرى و ان تعاقبت الأزمنة، لا يتطرق اليه تغيير، بل هو مستمر دائما-55

السادس : التعجب

قوله تعالى: (فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ)56، فكرر تعجبا من تقديره واصابته الغرض، على حد (قاتله الله ما أشجعه)57-

السابع: تعدد المتعلق

وذلك كما في قوله تعالى: ( )58، فانها وان تعددت فكل و احد منها متعلق بما قبله، و ان الله تعالىٰ خاطب بها الثقلين من الجن والانس وعدد عليهم نعمه التي خلقها لهم فكلما ذكر فصلا من فصول النعم طلب اقرار هم واقتضا هم الشكر عليها، وهي أنواع مختلفة وصورشتى59-

ومعنى كلام الزركشي السابق أن تكرار الآية السابقة بهذه الصورة الاستفهامية جاء القدير ان الله عدد في هذه السورة نعمائه، وذكر خلق آلاءه، ثم اتبع كل حله و ضعها بهذه الآية و جعلها فاصلة بين كل نعمتين لينبههم على النعم و يقررهم بها كما تقول لمن تتابع له احسانك و هو يكفره ألم تكن فقيرا فأغنيتك أفتنكر هذا؟ ألم تكن خاملاً فعززتك أفتنكر هذا؟ والتكرير في مثل هذا حسن ومنه قول الشاعر:

لا تقتلي رجلاً ان كنت مسلمة اياك من دمه اياك اياك60

ولكن اذا سلمنا بما أورده الزركشى ومن بعده الشوكانى من تعليل لتكرير الآية السابقة من أن تكريرها لعد النعم و اقتضاءالشكر عليها فأى نعمة فى قوله تعالى: (يرسل عليكما شواظ من نار و نحاس فلا تنتصران)61، وهى هنا وعيد؟

وهنا يجيب الزركشى بقوله: ان نعم الله فيما أنذر به و حذر من عقوباته على معاصيه ليحذروها فيرتدعوا عنها نظير أنعمه على ما وعده، وبشر من ثوابه على طاعته، لير غبو افيها، ويحرصوا عليها، و انما تتحقق معرفة الشئى ء بأن تعتبره بضده، والوعد والوعيد و ان تقابلا فى ذروتهما، فانهما متقاربان فى موضع النعم بالتوفيق على ملاك الأمر منهما- واستدل على ذلك بقول أحد الحكماء:

والحادثات أصابك بؤسها فهو الذى أنباك كيف نعيمها62

و اذا كان البعض من العلماء يرون أن الآية السابقة و ان تكررت الا أن كل لفظ منها يدل على معنى مختلف عما يدل عليه اللفظ الآخر بادعاء عدم الفائدة من تكرار اللفظ نفسه فى السياق نفسه للمعنى نفسه- فان الزركشى يرى أن لا يصح القول بذلك الا اذا كانت العبرة بعموم اللفظ، فكل واحد أريد به غير ما أريد بالآخر- ونجد الزركشى يبين صراحة الهدف من تكرير اللفظ أو المقطع أكثر من مرة فى التأثير فى المتلقى حيث يرى أن الهدف من تكرير قوله تعالى: (ان فى ذلك لآية و ما كان اكثر هم مؤمنين و ان ربك لهو العزيز الرحيم)، هو التأثير لأنه(يتأثر بالتكرار من لا يتأثر بالمرة الواحدة)-

خلاصة البحث

ان التكرار فيها مع سائر الألفاظ لم يوقع فى اللفظ هجنة ولا أحدت مللا فباين بذلک كلام المخلوقين-

ومنها أنه البسها زيادة و نقصانا وتقديما و تأخيرا ليخرج بذلک الكلام أن تكون ألفاظه واحدة بأعيانها فيكون شيئا معادا فتنزه الحق سبحانه وتعالى عن ذلک بهذه التغييرات63- وقد وافق هذا الرأى السيد قطب رحمه الله و ان كان يظهر من كلامه أنه ينفى وجود التكرار فى القصص القرآنى لكن من يمعن النظر فى قوله يجد أنه ينفى وجود التكرار الذٰ لا فائدة تحته فيقول: (ويحسب أناس أن هناک تكرارا فى القصص القرآنى لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها فى صور شتى ولكن النظرة الفاحصة تؤكد انه ما من قصة أو حلقة من قصة قد تكررت فى صوره واحدة من ناحية القدر الذى يساق و طريقة الأداء فى السياق و أنه حيثما تكررت حلقة كان هناک جديدا تؤديه ينفى حقيقة التكرار)64-

ومنها ظهور الأمر العجيب فى اخراج صور متباينة من النظم العجيب وقد كان كفار قريش فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم يعجبون من اتساع الأمر فى تكرار هذه القصص والأنباء، مع تغاير أنواع النظم، وبيان وجوه التأليف، فعر فهم الله سبحانه أن الأمر بما يتعجبون منه مردود الى قدرة من لايلحقه نهاية، ولا يقع على كلامه عدد لقوله تعالى: (قُلْ لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمٰتِ رَبِّىْ لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ اَنْ تَنْفَدَ كَلِمٰتُ رَبِّىْ وَ لَوْ جِئْنَا بِمِثْلِه مَدَدًا)65، وبهذا يبرز الزركشى ان القرآن الكريم قد وصل الى غايته وهدفه من التكرار كما يبرر سر اعجازه و مبلغ عمقه فى تقرير المسائل و تكريرها وبالتالى تبطل شبهة الذين نفوا فائدة التكرار وسقط ادعاؤهم الذى يعتبر قولا بغير علم وهو أقرب الى أن يكون جعجعة لاتسمن ولا تغنى من جوع- اذا لقد أثبت الزركشى أن القرآن الكريم معجز بألفاظه معجز بأساليبه كما أثبت أيضا أن القرآن معجز فى حقيقته ومجازه-

الهوامش

[1]- الاعجاز القرآنى وجوهه و أسراره ٢٦١

[2]- المصدر نفسه ٢٦١

[3]- روح الاجتماع، دجو ستاف لوبون ترجمة أحمد فتحى زغلول ٢١٦

[4]- تاويل مشكل القرآن ابن قتيبة ١٨٢

[5]- المصدر نفسه

[6]- الديوان ١٤٥

[7]- أثر النحاة فى البلاغة العربى ١٥٥

[8]- الديوان ١٨٩

[9]- النقد الأدبى دراسات نقدى حول اعجاز القران الكتاب الاول ٣٨

[10]- البرهان ج ٩٣

[11]- المصدر نفسه

[12]- المصدر نفسه

[13]- لسان العرب مادة كرر

[14]- التبيان فى علم المعانى والبديع و البيان حسين الطيبى ٣٦٠

[15]- البرهان ج ١٠٣

[16]- الزمر ١١- ١٥

[17]- البرهان ج ٩٣

[18]- معانى القرآن ١٣٥

[19]- العمدة ج ٧٢٢

[20]- الخصائص ٢٥٥

[21]- الحاقة ٢، ١

[22]- القارعة ١

[23]- البرهان ج ١٢٣

[24]- المصدر نفسه

[25]- القمر ١٧

[26]- البرهان ج ٩٣

[27]- النقد الأدبى دراسة نقدى وبلاغى حول اعجاز القرآن الكتاب الثالث ٧٩

[28]- الزمر ٢٣

[29]- اعجاز القرآن و البلاغة النبوى ٢٠٠- ٢٠١

[30]- البرهان ج ٩٣

[31]- آل عمران ١٧٧

32 - تفسير القرطبى ج ٣، ٢٣٥
33 - البقرة ١٥٧
34 - تفسير القرطبى ج ٣، ٢٣٥
35 - غافر ٣٨-٣٩
36 - البرهان ج ١٣٤
37 - النحل ١١٠
38 - ينظر البرهان ج ١٤٣
39 - النساء ١٥٥- ١٦١
40 - النساء ١٥٥
41 - النساء ١٥٧
42 - النساء ١٥٥
43 - النساء ١٦٠
44 - البرهان ج ١٦٣
45 - المؤمنون ٣٥
46 - ينظر البرهان ج ١٤٣
47 - المثل السائر ٢٣٧
48 - النقد الأدبى الكتاب الثالث ٤٧
49 - الحاقة ١، ٢
50 - القارعة ١
51 - القدر ٢٧
52 - الواقعة ٢٧
53 - الواقعة ٨، ٩
54 - التكاثر ٦، ٧
55 - البرهان ج ١٧٣
56 - المدثر ١٩،٢٠
57 - البرهان ج ١٧٣
58 - الرحمن ٣٥
59 - البرهان ج ١٨٣
60 - فتح القدير ج ١٣٣٥
61 - الرحمن ٣٥
62 -
63 - البرهان ج ٣ ٢٢٧
64 - التصوير الفنى قى القرآن الكريم ٣٥
65 - الكهف ١٠٩